

معجمات الترتيب الصوتي

عند العرب القدماء

د. سامي عوض

صوت الإنسان هو جوهر الكلام ومادته، يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ):
والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يُوجد التأليف،
ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً إلاّ بظهور الصوت
، ولا تكون الحروف كلاماً إلاّ بالتقطيع والتأليف^(١):

يقول الدكتور حلمي خليل: «وهذا يعني أنّ الكلام يتحدّد بداهة، بأنّه
أصوات متقطعة ومنظومة في آن، لأنّ مادة الكلام هي أصوات متقطعة، ولكنّها
منظومة على وجه مخصوص في كلّ لغة، وهذا التصور يؤدي إلى أنّ الدراسة
العلمية للكلام تقتضي تحليله من الجزء إلى الكلّ ومن الكلّ إلى الجزء، لأنّ
الأصوات المفردة المعزولة، إذا نظمت صارت كلمات، والكلمات بما تحمله من
دلالات إذا دخلت في علاقات النظم صارت جملاً وكلاماً^(٢).

ويقول: تحليل الصوت اللغوي معزولاً ومنظوماً كان محور التفكير الصوتي
عند علماء اللغة قديماً وحديثاً، حتى إنهم كادوا يجمعون على

(١)

أبو عثمان عمرو بن بحر «الجاحظ»، «البيان والتبيين»، تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام
هارون، المجلد الأول، دار الفكر بيروت ص ٧٩ يذكر الدكتور حلمي خليل أن علماء
العربية القدماء منذ الخليل كانوا يستعملون مصطلح «الحرف» هو للدلالة على الصوت
اللغوي المفرد المنطوق كما كانوا يستعملونه للدلالة على الحرف المكتوب.

(٢) د. حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر
بيروت ص ١٢٤.

أنّ اللغة أصوات، وأنّ الحدث الكلامي لا يدرك أو يتجلى إلّا في الصوت^(٣). ويرى الدكتور أحمد مختار عمر أنّ علماء اللغة المحدثين يرون أنّ دراسة الأصوات هي أوّل خطوة في أيّ دراسة لغوية، لأنّها تتناول أصغر وحدات اللغة وهو الصوت الذي هو المادة الخام للكلام الإنساني^(٤).

ويُعَدُّ عمل أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) في نقط القرآن الكريم البدايات الأولى في نشأة الدرس اللغوي العربي على أساس صوتي، ويتجلى هذا الأساس الصوتي واضحاً عندما اختار أبو الأسود رجلاً من عبد القيس وقال له:

«خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتيّ فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإذا أتبت شيئاً من هذه الحركات عُتت فانقط نقطتين»^(٥).

ويوضح الدكتور محمد خير حلواني ذلك بقوله: «وفي هذا النصّ جانبان، جانب فيزيولوجي يعتمد مظاهر الحركات المادية في نطق الحركات، وجانب علمي يعتمد الإدراك اللغوي، فهو يدفع كاتبه إلى ملاحظة طريقة النطق، وشكل الشفتين، وهو بذلك يرسّي أسساً صوتية مازال مستخدمةً حتى أيامنا هذه»^(٦).

ولم يقتصر الأساس الصوتي في ذلك العمل على تلك الملاحظات، وإمّا نرى أبا الأسود -على أغلب الظن- قد اختار أن تكون الفتحة من فوق

(٣) المرجع السابق ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) د. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، نشر عالم الكتب، الطبعة الثالثة ص ٧٢.

(٥) أبو عمرو الداني، المحكم في نقط المصاحف، عُني بتحقيقه د. عزة حسن دمشق ١٩٦٠ ص ٤.

(٦) د. محمد خير حلواني، المفصل في تاريخ النحو العربي، (الجزء الأول قبل سيبويه)،

مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٧٩ ص ١٠٣.

الحرف لأنَّ فيها استعلاء، وأن تكون الكسرة من تحته لما فيها من تسقّل، ولم يبقَ للضمة غير موضع واحد هو وسطه أو أمامه^(٧).

أمَّا التنوين فقد جعله من حيث الرمز كالحركة، وهو بذلك يربط بين التنوين - وهو نون خفيّة- والحركة، ورمّما فعل ذلك لما لاحظته في التنوين من ظهوره مرّة، وخفائه مرّة أخرى فربط بينه وبين حركة الإعراب التي تزول في الوقف وتظهر في الوصل^(٨).

ومّا تجدر الإشارة إليه أنّ القراءات القرآنية شكّلت البدايات المبكرة لظهور الدرس الصوتي العربي، خاصة ما يتعلق منها بملاحظة الاختلافات بين قراءات القُرّاء، وهي صوتية في معظمها، يقول د. محمد خير حلواني: «إنَّ القراءة القرآنية هي التي دعت إلى ظهور علم الأصوات الذي نضج عند العرب، فالمقرئ كان مضطراً إلى إخراج الحروف مخرجاً فصيحاً، وكان مضطراً أيضاً إلى معرفة المدِّ وقوانينه»^(٩).

يذكر ابن مجاهد أنّ ابن أبي بزة روى عن ابن كثير أنّه قرأ «تعتدونها» من قوله تعالى: «من عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا»^(١٠) خفيفة الدال، ورويت عنه نفسه أيضاً بالتشديد، فاستفسر منه عن ذلك فأجابه رجعت عنها، ويتابع ابن مجاهد

(٧) آ - المحكم في نقط المصاحف ص ٤٢.

ب - مفهوم الدرس الصوتي عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري، بحث أعدّه الدكتور ماهر حبيب لنيل درجة الماجستير من جامعة تشرين بإشرافي.

(٨) آ - المحكم في نقط المصاحف ص ٥٩.

ب - مفهوم الدرس الصوتي عند العرب ص ٢٩.

(٩) المفصل في تاريخ النحو ص ١٧.

(١٠) سورة الأحزاب من الآية «٤٩».

ذاكراً أنه غلط في ثلاثة مواضع وحددتها^(١١). ومن ذلك أيضاً ما ذكره مكّي القيسي^(١٢) من ملاحظة للقراءة بإشمام الضم في أوائل ستة أفعال قد اعتلت عيناتها وهي «سيء، وسيق، وحيل، وحيء، وقيل، وعيض» فقرأ هشام والكسائي بإشمام الضم في أوائلها، وقرأ ابن ذكوان بالإشمام في أول سيء، وسيق، وحيل، وقرأ نافع بالإشمام في سيء، وسيئت خاصة، وبالكسر في باقيها، وقرأ الباقون بالكسر في أوائل جميعها.

ومن ذلك أيضاً ملاحظته قراءة الصراط بالسين وبالصاد وبالزاي، ونسبة كل قراءة إلى مَنْ قرأها^(١٣).

من هنا ندرك أهمية القراءات القرآنية في ظهور دراسة صوتية عند العرب، لأنها تعين القارئ على مراعاة صفة الحروف ومخارجها حتى يتمكن من تطبيق القراءة التي يتلقاها عن شيخه دون أن يخلط بينها وبين سواها.

تنويع الترتيب المعجمي عند العرب:

تفيد مادة «عجم» في اللغة معنى الإبهام والغموض، ففي اللسان: «الأعجم الذي لا يفصح ولا يبيّن كلامه، وفيه: ورجلٌ أعجمي وأعجم إذا كان في لسانه عجمة».

فإذا أدخلنا الهمزة على الفعل «عجم» ليصير «أعجم» اكتسب الفعل معنى

(١١) ابن مجاهد، السبعة في القراءات تحقيق د. شوقي ضيف، طبع دار المعارف بمصر، بلا تاريخ ص ٥٢٢-٥٢٣ وينظر في الصفحتين ٦٢١، ٦٧١.

(١٢) مكّي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، وعللها وحججها، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م ص ٢٢٩.

(١٣) الكشف عن وجوه القراءات ص ٣٤.

جديداً يفيد هنا السلب والنفي والإزالة»^(١٤)، ومن هنا أُطلق على نقط الحروف لفظ «الإعجام» لأنه يزيل ما يكتنفها من غموض، ومن هنا أيضاً جاء لفظ «المعجم» بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما، ويشرحها، ويوضح معناها، ويُرتبها بشكل معين، ويكون تسمية هذا النوع من الكتب معجماً إِمَّا لأنه مرتب على حروف المعجم (الحروف الهجائية)، وإِمَّا لأنه قد يزيل أيَّ إبهام أو غموض منه، فهو معجم بمعنى مزال ما فيه من غموض وإبهام»^(١٥).

ويعني مصطلح المعجم «Dictionary» كُلُّ مؤلف مرتب وفق نظام خاص، ويرجع إليه لمعرفة معنى كلمة، أو طريقة لفظها، أو هجائها، أو استعمالها، أو مرادفاتها، أو تاريخها، أو مستواها الاستعمالي، أو تأثيلها، أو اشتقاقها، أو زمن دخولها في اللغة^(١٦).

ويشمل هذا التحديد أيَّ كتاب يضم مفرداتٍ لغويةً مرتبةً ترتيباً معيَّناً

(١٤) آ - البحث اللغوي عند العرب ص ١١٦.

ب - صناعة المعجم الحديث، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ص ١٩.

(١٥) آ - البحث اللغوي عند العرب ص ١١٦.

ب - صناعة المعجم الحديث ص ١٩.

(١٦) آ - البعلبكي رمزي منير، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م بيروت ص ١٤٧.

ب - د. الجليلي حَلَام المعاجمية العربية، قراءة في التأسيس النظري، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ص ١٠.

وشرحاً لهذه المفردات، أو ذكراً لما يقابلها بلغةٍ أخرى»^(١٧).

ويجمع لفظ «معجم» قياساً على «معاجيم ومعجمات» وشاع، على خلاف القياس، جمعه على «معاجم»، ومع ذلك فقد أجاز مجمع اللغة العربية في القاهرة صحة الجمعين معاً (معاجم ومعجمات)^(١٨).

ويظهر لنا من خلال تحليل أهم الدراسات العربية الحديثة التي عالجت قضايا المعجمية العربية أنّها غالباً ما اتخذت التقسيم المدرسي أساساً لها، وقد أخذ به جُلُّ الدارسين في العصر الحديث، فذهب الدكتور حسين نصّار إلى تقسيم المعاجم العربية إلى أربع مدارس وهي:

آ - مدرسة الترتيب المخرجي: ويضع فيها كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، والمحيط للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، والمحكم لابن سيده (ت ٤٥٨هـ).

ب - مدرسة الترتيب الألفبائي على أول الكلمة: ويُدرج ضمنها كلاً من: جمهرة اللغة لابن دريد (٣٢١هـ)، وكتابي: مقاييس اللغة، والمجمل لأحمد ابن فارس (٣٧٥هـ).

ج - مدرسة الترتيب الألفبائي على آخر الكلمة: ويدرج تحتها الصحاح للجوهري (ت ٤٠٠هـ) والعُباب للصاغاني (٦٥٠هـ) ولسان العرب لابن منظور (٧١١هـ) والقاموس المحيط للفيروزآبادي (٨١٧هـ) وتاج العروس للزبيدي (١٢٠٥هـ).

(١٧) المعاجمية العربية ص ١٠ نقلاً عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، لاروس باريس ١٩٨٩، ص ٨٢٤.

(١٨) المعاجمية العربية ص ١٠ نقلاً عن المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة طبع دار المعارف مصر الطبعة الثانية ١٩٧٣ ينظر: «عجم».

د - مدرسة الترتيب الألفبائي دون تقليب: ويُدرج تحتها كلاً من أساس البلاغة للزمخشري (٥٣٨هـ)، ومعجم اليسوعيين، كالمنجد للويس معلوف ١٩٤٦م، وأقرب الموارد للشرتوني ١٩١٩م وغيرهما، ومعجم الجمع اللغوي في القاهرة كالمعجم الوسيط والمعجم الكبير^(١٩).

ويثبت الأستاذ عدنان الخطيب التقسيم المدرسي السابق نفسه تقريباً مع إضافة كتاب الحروف للشيباني (٢٠٦هـ) والمصباح المنير للفيومي (٧٧٠هـ) إلى زمرة معجم مدرسة الترتيب الألفبائي دون تقليب، كما أضاف ديوان الأدب للفارابي (٣٥٠هـ) إلى مدرسة الترتيب الألفبائي على آخر الكلمة^(٢٠).

ويضع الدكتور أحمد مختار عمر المعجم العربية ضمن ثلاث مدارس وهي:

آ - مدرسة الترتيب المخرجي: ويدرج فيها كلاً من العين، وتهديب اللغة للأزهري، ومختصر العين للزبيدي، والمحكم لابن سيده.

ب - مدرسة الترتيب الألفبائي على أول الكلمة: ويعدّ ضمنها الجمهرة لابن دريد، ومقاييس اللغة لابن فارس، وأساس البلاغة للزمخشري.

ج - مدرسة الترتيب الألفبائي على آخر الكلمة: ويضع فيها الصحاح للجوهري، لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، وتاج العروس للزبيدي^(٢١).

يُعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي رائد علم الصوت في تاريخ الدراسة

(١٩) د. حسين نصّار المعجم العربي، نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية ١٩٦٨ ص ٨٦ وما بعدها.

(٢٠) الأستاذ عدنان الخطيب، المعجم العربي، مجلة الجمع العلمي العربي، دمشق مجلد ٤٠ ج ١ ١٩٦٥ ص ٢٠٨.

(٢١) البحث اللغوي عند العرب ص: ١٢٢-١٧٠.

اللغوية عند العرب^(٢٢)، فقد كان أول من صنف كتاباً يقوم على أساس صوتي، حيث صنف الكلمات فيه على أساس مخارج الأصوات^(٢٣). وأهم ما يميز هذا المعجم - عدا نظامه - أنّ مؤلفه لم يجمع مفرداته عن طريق استقراء ألفاظ اللغة، وتتبعها في مؤلفات السابقين، وجمعها من شفاه الرواة، وإنما جمعها بطريقة منطقية رياضية، حيث لاحظ أن الكلمة قد تكون ثنائية، وقد تكون ثلاثية، وقد تكون رباعية، وقد تكون خماسية. وفي كل حالة إذا أمكن تبديل حروف الكلمة إلى جميع احتمالاتها (بالانتقال من حرف هجائي إلى الذي يليه) وأمکن تقليب أماكن هذه الحروف إلى جميع أوجهها الممكنة يكون الحاصل معجماً يضم جميع كلمات اللغة من الناحية النظرية.

-
- (٢٢) ينظر ما كتبه د. أكرم عثمان في سلسلة اللسانيات /عدد٥/ الجامعة التونسية تونس ١٩٨٣، ص ١٩٥ تحت عنوان: «دراسة في المنهج الصوتي عند العرب» حيث وصفه بأنه العالم الأول عند العرب.
- (٢٣) نقل الدكتور ماهر حبيب في بحثه «مفهوم الدرس الصوتي عند العرب» ص ٩٦، أن هناك خلافاً حول نسبة كتاب «العين» للخليل، فمن الباحثين من أيّد نسبته، ومنهم من رفض ذلك، وينظر من المحدثين الذين عرضوا آراء الفريقين وناقشوها:
- أ - د. فؤاد حنا ترزي في كتابه: «في أصول اللغة والنحو» ص ٧٣-٧٧.
- ب - د. عبد الله درويش في كتابه: «المعاجم العربية بلا تاريخ» ص ٤٧ وما بعدها.
- ج - د. إميل يعقوب: في المعاجم اللغوية العربية دار العلم للملايين ١٩٨١، ص ٥٣.
- د - د. حسين نصار في كتابه: «المعجم العربي: نشأته وتطوره» ص ٢٧٩.
- ه - د. أحمد مختار عمر في كتابه: «البحث اللغوي عند العرب» ص ١٢٧-١٣١.
- و - محمد حسين آل ياسين في كتابه: «الدراسات اللغوية عند العرب» ص ٢٣٥ وما بعدها.
- ز - د. مهدي المخزومي في كتابه: «الخليل بن أحمد الفراهيدي» الطبعة الثانية ١٩٨٦ ص ١٥٢، وفي كتابه «عقبيري من البصرة».

ولكن لا توجد لغة تستخدم جميع إمكانياتها النظرية، ولهذا كان لا بُدَّ للتحليل بعد الإحصاء النظري أن يميز بين المستعمل من هذه الصور والمهمل، وقد فعل ذلك، واستفاد، في تمييز المستعمل من المهمل، بثقافته اللغوية الخصبة وبخبرته الصوتية الباهرة، ومعرفته بالتجمعات الصوتية المسموح بها وغير المسموح بها في اللغة العربية؛ وبذا حَكَمَ القوانين الصوتية إلى جانب تحكيمه للمادة اللغوية المسجلة^(٢٤).

ويرى الدكتور المخزومي أنّ الذي دفع التحليل إلى العدول عن نظام ترتيب الأحرف المعروف في عصره، وهو الترتيب الأبجدي، والترتيب الألفبائي هو أن هذا الترتيب الموروث السابق لم يُبَيِّنْ على أساس علمي فهو حين أراد أن يصنفها على قدر مخرجها كان يرمي إلى إعادة تنظيمها ولكن على أساس علمي واضح^(٢٥).

وقد روى التحليل أنه رفض البدء من أوّل أ، ب، ت، ث لأن^(٢٦)، الألف حرف معتل، فلما فاتته الحرف الأوّل كره أن يبتدئ بالثاني. كما أنّه لم يأخذ بالترتيب الأبجدي (أبجد هوز) لأنّ الهمزة مهتوتة مضغوظة، فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء أو الواو أو الألف^(٢٧)، يقول التحليل: «فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب

(٢٤) البحث اللغوي عند العرب ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٢٥) عبقرى من البصرة، د. مهدي المخزومي، العراق وزارة الإعلام ص ٣٤.

(٢٦) العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق د. مهدي المخزومي ود.

إبراهيم السامرائي من منشورات دار الهجرة قم ط ١، ١٤٠٥ هـ ج ١ ص ٤٧.

(٢٧) العين ١ / ٥٢.

مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد.. ثمَّ الحاء والغين في حيز واحد: كُلُّهُنَّ حلقيّة، ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاي في حيز واحد، ثم الطاء والذال والتاء في حيز واحد، ثمَّ الطاء والذال والتاء في حيز واحد، ثمَّ الرّاء واللام والنون في حيز واحد، ثم الفاء والباء والميم في حيز واحد، والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه^(٢٨).

ثمَّ نسب كل مجموعة وضعها في حيز من المجموعات السابقة إلى مكان خروجها^(٢٩):

- ١- العين والحاء والحاء والغين حلقيّة لأنَّ مبدأها من الحلق.
 - ٢- القاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة.
 - ٣- الجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم.
 - ٤- الصاد والسين والزاي أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان.
 - ٥- الطاء والذال والتاء نطعية، لأنَّ مبدأها من نطع الغار الأعلى.
 - ٦- الطاء والذال والتاء لثوية، لأنَّ مبدأها من اللثة.
 - ٧- الرّاء واللام والنون ذلقية، لأنَّ مبدأها من ذلق اللسان.
 - ٨- الفاء والباء والميم شفوية، لأنَّ مبدأها من الشفة.
 - ٩- الياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد، لأنها لا يتعلق بها شيءٌ فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذي يبدأ منه.
- ونستطيع أن نُلخِّص عمل الخليل في كتابه العين استناداً إلى ما ذكره

(٢٨) العين ١/ ٥٧ - ٥٨.

(٢٩) العين ١/ ٥٨.

الدكتور أحمد مختار عمر^(٣٠).

(١) رَتَّبَ كلمات معجمه على الحروف ترتيباً مخرجياً، وقد وجد أعمق الحروف هي حروف الحلق فبدأ بها، ولم يكتفِ بذلك، بل رَتَّبَ حروف الحلق فيما بينها فوجدها ذات مخارج ثلاثة هي: الهمزة والهاء، ثم العين والحاء، ثم الغين والحاء، وقد كان من المتوقع أن يبدأ الخليل معجمه بحرف الهمزة وأن يسمي كتابه: «الهمزة»، ولكنه عدل عن ذلك، وبدأ بحرف العين وسمى كتابه «العين»، والسرُّ في ذلك أنّ الخليل قد وجد بحسّهُ الصوتي، أن الهمزة صوتٌ مُعَرَّضٌ للتغيرات مثل التسهيل أو الحذف، فلم يشأ أن يبدأ بها، ووجد أن الهاء صوت مهموس خفي، فلم يشأ أيضاً أن يبدأ بها، وانتقل إلى الحيز الثاني من حروف الحلق فوجد فيه العين والحاء فبدأ بالعين لأنها «أنصع» أي أوضح لأنها مُجْهُورَةٌ.

(٢) كان يلتزم تجريد الكلمة من زوائدها، ثم يضعها في مكانها بعد ذلك، ومعنى ذلك أنه بنى معجمه على «الجدور» أو «الأصول» وأهمل حروف الزيادة. وقد ظل هذا دأبُ معظم معاجمنا حتى الآن.

(٣) رَتَّبَ الأصوات على الوجه الآتي:

ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / رل
ن / ق ب م / و ا ي /.

(٤) خَصَّصَ لكلِّ حرف كتاباً أسماه باسمه، فالمعجم عبارة عن كتب

بعدد حروف الهجاء هي كتاب العين، كتاب الحاء، كتاب الهاء.

(٥) وفي كُلِّ كتاب كان يضع الكلمات التي تشتمل على الحرف. الذي

(٣٠) البحث اللغوي عند العرب، ص ١٣١ - ١٣٤.

يحمل الكتاب اسمه أياً كان موضع هذا الحرف، في الأول أو الوسط أو الآخر.
 (٦) حين يتناول كلمة ما كان يقلبها على جميع أوجهها الممكنة، وكان في كثير من الأحيان يلتزم ببيان الأوجه المستعملة، والأوجه المهملة.. وقد طبق الخليل نظام التقلبات مع جميع كلمات الثنائي والثلاثي، وكان ينصّ على المستعمل من هذه الصور والمهمل، ولكن مع الرباعي والخماسي وجد أنّ العملية طويلة والاحتمالات كثيرة والصور المستعملة فعلاً، بالنسبة للمهملة، قليلة جداً.. ولذا اكتفى بالتقلبات العملية فقط لا الممكنة عقلاً.

(٧) نتيجة لنظام التقلبات فإن كل كتاب لا يشمل على كلمات فيها حروف سابقة: فكتاب (الحاء) لا يشتمل على أي كلمة منها «عين» لأن جميع الكلمات التي تشتمل على حرف العين قد سبقت في كتاب العين، وكتاب الهاء لا يشتمل على أي كلمات فيها عين أو حاء لأنها سبقت.. وهكذا، ومعنى هذا أن الكتب الأولى أكبر من الكتب المتأخرة، ولهذا فإن كتاب العين يعد أكبر كتب المعجم، وحتى تصل إلى الكتاب الأخير نجد عبارة عن ورقتين أو ورقة واحدة.

(٨) خضع تبويب الكلمات لنظام الكمية، فمثلاً في باب العين نجد الكلمات مسجلة حسب التقسيم الآتي:

الثنائي، الثلاثي الصحيح، الثلاثي المعتل، اللفيف، الرباعي، الخماسي.
 أمّا الثنائي فقد قصد به الخليل ما اجتمع فيه حرفان من الحروف الصحيحة، وأمّا الثلاثي الصحيح فهو عنده، كما هو عند غيره، ما اجتمع فيه ثلاثة حروف صحيحة، وأمّا الثلاثي المعتل فهو ما اجتمع فيه حرفان صحيحان وحرف علة سواء كان مثلاً أو أجوف أو ناقصاً، وأمّا اللفيف فقد عني به ما اجتمع فيه حرفا علة سواء أكانا مفروقين أو مقرونين.

أمّا طريقة الكشف في العين فتقتضي:

أولاً: تجريد الكلمة من زوائدها وردّ الجموع إلى مفرداتها إذ إنّ ذلك يؤدي إلى معرفة المادة الأصلية.

فإن كان من بينها «ع» أيّاً كان موضعها، فإن مكان الكلمة هو كتاب العين.

ثانياً: ترتيب حروف المادة ترتيباً صوتياً حسب النظام الذي اختاره الخليل، ويبحث عن مشتقات المادة في باب أسبق حروفها من حيث المدارج الصوتية، فلفظ (جعد) يبحث عنه في مادة ع ج د، ولفظ (هجع) في ع ه ج، وهكذا... لهذا كان لا بُدّ أن يعرف الباحث الترتيب المخرجي للحروف.

ثالثاً: إذا كانت الكلمة مضعّفة مثل زَدّ، زلزل، استغني عن التضعيف لتعود الكلمة إلى أصولها ثنائية أو ثلاثية مثلاً، ثم يبحث عنها في بنائها الثنائي أو الثلاثي وهكذا^(٣١).

ولاشك أنّ جميع ما سبق يتطلب من الباحث دراية سابقة بكثير من القواعد الصرفية والنحوية، كما يتطلب درايته سلفاً بالتنظيم الصوتي الذي اختاره الخليل، وبطريقته في ردّ المشتقات إلى مادة تعتبر أصلاً لها جميعاً، ويُفتقد البحث عنها في غير هذا الموضوع، ممّا حدا العلماء من بعده إلى تناول منهجه بالتعديل في ناحية منه أو أكثر، وكان ذلك سبباً في نهضة معجمية عظيمة^(٣٢).

(٣١) آ - البحث اللغوي عند العرب ص ١٣٤.

ب - المعاجم العربية، دراسة تحليلية، الكتاب الأول، تأليف الدكتور عبد السميع

محمد أحمد، نشر دار الفكر العربي ص ٣٩.

(٣٢) المعاجم العربية ص ٣٩.

ويقول الدكتور حلمي خليل: ولاشك أنَّ طريقة الكشف على هذا النحو تحتاج إلى بعض التدريب، وربما كانت هذه الصعوبة التي شعر بها بعض واضعي المعاجم بعد الخليل، سواء من حيث بناء المعجم، أو الكشف فيه، هي التي حدت بهم إلى محاولة اكتشاف منهج جديد في ترتيب المداخل، وطريقة وضع المعاجم، مما أدَّى إلى تطور واضح في فن صناعة المعجم عند العرب^(٣٣). ومع ذلك فقد وجدنا في التراث المعجمي العربي عدداً من كبار علماء اللغة والمعاجم ممن ساروا على نهج الخليل بحيث تألفت منهم تلك المدرسة المعجمية الرائدة في تاريخ المعاجم العربية منهم:

- آ - أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ) صاحب «البارع».
- ب - أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) صاحب «تهذيب اللغة».
- ج - الصاحب بن عباد (ت ٣٥٨هـ) صاحب «المحيط».
- د - ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) صاحب «المحکم».

(٣٣) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، الدكتور حلمي خليل، دار النهضة العربية

المخرئية	وا، ي، ء	الشفوية		الذائفة		الغرية		الطعية		الأسلية		الشفوية		التهوية		الحلقية		المخيليل بن أحمد الفراهيدي، ت(١٧٥هـ) العين		
		م، ب، ف، ن	من	من بين	من	من طرف	أدخل	قرينة	تحت	يجنب	من	من أول	من	من	من	من	من	من	من	ابن دريد (٣٢١هـ) جمهرة اللغة
هوائية	وا، ي، ا	شفوية		ذوقية		لثوية		نظمية		أسلية		شجرية		لثوية		من الحلق		من الحلق		الأزمري (٣٧٠هـ) تمذيب اللغة
		م، ب، ف، ن	من	من	من	من طرف	نظمية	شجرية	لثوية	شجرية	لثوية	شجرية	لثوية	لثوية	لثوية	لثوية	لثوية	لثوية	لثوية	
هوائية	وا، ي، ا، ء	شفوية		ذوقية		لثوية		نظمية		أسلية		شجرية		لثوية		من الحلق		من الحلق		الفاي (٣٥٦هـ) البارع
		م، ب، ف، ن	من	من	من	من طرف	نظمية	شجرية	لثوية	شجرية	لثوية	شجرية	لثوية	لثوية	لثوية	لثوية	لثوية	لثوية	لثوية	

من خلال مقارنة ترتيب الأصوات في الجدول السابق يرى الباحث ماهر حبيب^(٣٤)، أن هناك اتفاقاً في بعض النواحي، كما أنّ هناك اختلافاً أيضاً.

أولاً: الاتفاق:

١- في ترتيب المجموعات هناك اتفاق بين ترتيب العين، وترتيب التهذيب وترتيب المحيط في ترتيب الأصوات، وفي تسمية مخارجها، وفي عددها كما نلاحظ اتفاق العين، والبارع في عدد المجموعات دون ترتيبها.

٢- ضمن المجموعات هناك اتفاق في ترتيب الأصوات ضمن المجموعات بين العين والتهذيب والمحيط ما عدا مجموعتي الأصوات الذوقية، والأصوات الهوائية. كما نلاحظ أن هناك اتفاقاً بين العين والبارع في عدد الأصوات ضمن المجموعات دون ترتيبها، إلا مجموعة الأصوات الحلقية حيث زاد عليها القالي همزة، بينما جعلها الخليل بين الأصوات الهوائية.

ثانياً: الاختلاف:

١- في ترتيب المجموعات هناك اختلاف بين العين والبارع في ترتيب المجموعات حيث قدّم القالي الأحرف الذوقية إلى ما بعد الأحرف الشجرية، وأخّر الأحرف الأسلية إلى ما بعد النطعية. كما يظهر اختلاف بين العين والهمزة والجمهرة في ترتيب المجموعات، وفي تسميتها، وفي عددها، وفي مخارج الأصوات.

وهناك اختلاف بين العين من جهة، والتهذيب والمحيط من جهة أخرى

في:

آ - مجموعة الأصوات الذوقية: حيث بدأ الخليل هذه المجموعة باللام،

(٣٤) مفهوم الدرس الصوتي عند العرب ص ١٠٧ - ١٠٩.

في حين بدأها الأزهري والصاحب بالراء.

ب - مجموعة الأصوات الهوائية: حيث جاءت عند الخليل (و، ا، ي، ء) في حين جاءت عند الأزهري (و، ي، ا) وعند الصاحب (ي، و، ا، ء).

وهناك اختلاف ضمن المجموعات بين العين والبارع في:

آ - مجموعة الأصوات الحلقية: حيث زاد القالي الحمزة عليها، وقدم الهاء على العين والحاء.

ب- مجموعة الأصوات الشجرية: حيث قدم القالي الضاد على الجيم والشين فبدأ المجموعة بها.

ج- مجموعة الأصوات الأسلية: حيث قدم القالي الزاي على السين وهناك اختلاف بين العين والجمهرة تظهر في مجموعة الأصوات الحلقية، واللهوية، والشجرية، والأسلية، والذوقية.

وباستقراء نقط الاشتراك بين كُلاً ثنائية من هذه المعاجم لا نكاد نتبين الأسس النظرية التي يمكن أن تجمع بين معاجم المدرسة الواحدة، فنظرة الخليل ابن أحمد إلى اللغة المنبثقة عن المحاكاة، ونظريته في جمع المادة التي تقوم على أساس حصر ما يمكن تأليفه من الحروف العربية من كلمات وألفاظ^(٣٥).

ولا تتفق مع نظرية الأزهري التوقيفية التي تعتمد التأكيد على الصحيح من اللغة، كما جاء في مقدمة تهنئته: «لم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلا ما صحَّ لي سماعاً منهم أو روايةً عن ثقة، أو حكايةً عن خط ذي معرفة ثاقبة،

(٣٥) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. عبد الله درويش ص ٥٢.

اقتترنت إليها معرفتي»^(٣٦).

ويرى بعض الباحثين أنّ التقسيم المدرسي المذكور، ليس في وسعه أن يُقدّم للمعاجمية العربية خدمة، سواءً من حيث التأسيس النظري أو من حيث البناء التطبيقي، لأنه يفتقر حسب رأيهم إلى تفسير التأسيس النظري للمعجم من زاويتين:

١- إغفال نظرة المعجمي إلى اللغة، وإلى أهم عناصر المعجم كالجمع، ومستويات الرصيد اللغوي، والتعريف، والدلالة، والشواهد المقيدة، وصلة المعجم بالنظام اللساني عامة.

٢- عدم التأكيد على الهدف من تأليف المعجم، والعلاقة النظرية الموجودة بين الجمع والترتيب، كنظرية (العين الصوتية) للخليل بن أحمد، أو نظرية جمهرة اللغة عند ابن دريد، والصحاح عند الجوهري، والتأصيل عند ابن فارس. إنّ مثل هذه الأبعاد النظرية والتطبيقية في المعجم تجعل التقسيم السابق لا يكاد يرقى إلى المفهوم الحقيقي للمدرسة، ناهيك عن النظرية المعاجمية المتكاملة، ومن ثمّ يصبح العمل على إعادة تشكيل المعاجم العربية تشكيلاً جديداً يستند إلى معطيات علم اللسان الحديث، ويعتمد التأسيس النظري لعناصره مطلباً ضرورياً^(٣٧).

ومن هنا فإنّ مسار المعجمية العربية الحديثة المعاصرة أصبح يتجه نحو الأهداف الوظيفية، وبذلك أخذت تضمحل النظرة المعيارية إلى الرصيد

(٣٦) الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف

والترجمة ١٩٦٤. ج ١ ص ٤٠.

(٣٧) المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري ص ٣٩.

المفرداتي لتحلّ النظرة الوصفية التي تعامل اللسان على أنه كائن حي ينمو ويتطور ويزيد وينقص^(٣٨).

* * *

المصادر والمراجع

- ١- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف بمصر، بلا تاريخ.
- ٢- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق د. عبد الله درويش.
- ٣- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، منشورات دار الهجرة، ج ١، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- ٤- أبو عثمان عمرو بن بحر «الجاحظ»، البيان والتبيين، تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون، المجلد الأول، دار الفكر بيروت.
- ٥- أبو عمرو الداني، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق د. عزة حسن، دمشق.
- ٦- د. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، نشر عالم الكتب، الطبعة الثالثة.
- ٧- د. أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٩٨.
- ٨- الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة ج ١، ١٩٦٤ م.
- ٩- د. إميل يعقوب، في المعاجم اللغوية العربية، دار العلم للملايين، ط ١ عام ١٩٨١.
- ١٠- البعلبكي، رمزي منير، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٩٠.
- ١١- الجليلي أعلام المعاجمية العربية، قراءة في التأسيس النظري، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.
- ١٢- د. حسين نصار، المعجم العربي، نشأته، وتطوره، دار مصر للطباعة،

الطبعة الثانية.

- ١٣- د. حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت.
- ١٤- عبد السمیع محمد أحمد، المعاجم العربية، دراسة تحليلية، الكتاب الأول، نشر دار الفكر العربي.
- ١٥- د. فؤاد حنا ترزي، أصول اللغة والنحو.
- ١٦- د. ماهر حبيب، مفهوم الدرس الصوتي عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، بإشراف الأستاذ الدكتور سامي عوض.
- ١٧- مجمع اللغة العربية، المعاجم العربية، القاهرة، طبعة دار المعارف، مصر الطبعة الثانية ١٩٧٣م.
- ١٨- محمد حسين آل ياسين، للدراسات اللغوية عند العرب.
- ١٩- د. محمد خير حلواني، المفصل في تاريخ النحو، الجزء الأول قبل سيبويه، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
- ٢٠- مكّي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، وعللها وحججها، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.
- ٢١- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعاجم العربية، المعجم العربي الأساسي لاروس، باريس ١٩٨٩م.

الدوريات

- ١- د. أكرم عثمان، سلسلة اللسانيات، عدد ٥/، الجامعة التونسية، تونس ١٩٨٣م، دراسة في المنهج الصوتي عند العرب.
- ٢- عدنان الخطيب، المعجم العربي، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق مجلد ٤، ١٩٦٥.